جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

تجربة المنفى في الرواية العربية المعاصرة

دراسة فنية و موضوعية

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات الأدبية

الباحث
تامر سعد محمود الحيت

تحت إشراف
أ. د / ثناء أنس الوجود ربيع
أستاذ الأدب والنقد
كلية الآداب- جامعة عين شمس

أ. د / إبراهيم محمود عوض
أستاذ الأدب والنقد
كلية الآداب- جامعة عين شمس

جامعة عين شمس
كلية الآداب
٢٠١٢

الفهـــرس

الموضـوع	الصفحة
المقدمة.....	١
الباب الأول: الرواية العربية المعاصرة والمنفى.....	٨
الفصل الأول: مفهوم المنفى في الرواية العربية المعاصرة.....	٨
الفصل الثاني: تجربة المنفى والرواية السياسية العربية المعاصرة.....	٣٤
الباب الثاني: الرواية وتجربة المنفى في العالم العربي.....	52
مدخل:.....	52
الفصل الأول: الرواية وتجربة المنفى في مصر.....	56
الفصل الثاني: الرواية وتجربة المنفى في الوطن العربي.....	182
الفصل الثالث: ملامح وسمات مشتركة في تجربة السرد الروائي.....	273
الخاتمة:..... ...	288
قائمة بالمصادر والمراجع:.	292
ملخص عام للرسالة باللغة العربية:.	297
ملخص عام للرسالة باللغة الإنجليزية:	١

جامعة عين شمس
كلية الآداب

رسالة دكتوراه

اســم الطالــب : تامر سعد محمود الحيت

عنوان الرسالة : تجربة المنفى في الرواية العربية المعاصرة " دراسة فنية وموضوعية"

اســم الدرجــة : دكتوراه

لجنــة الإشــراف

الاسم: أ.د ثناء أنس الوجود ربيع الاسم: أ.د إبراهيم محمود عوض

تاريخ البحث / / ٢٠م

الدراسات العليا:

ختم الإجازة: أجيزت الرسالة بتاريخ: / / ٢٠

موافقة مجلس الكلية موافقة مجلس الجامعة

/ / ٢٠ / / ٢٠

جامعة عين شمس
كلية الآداب

رسالة دكتوراه

اســـم الطالـــب : تامر سعد محمود الحيت

عنـوان الرسـالة : تجربة المنفى في الرواية العربية المعاصرة "دراسة فنية وموضوعية"

الدرجـة العلميـة : دكتوراه

القسم التـابع لـه : اللغة العربية

اســـم الكليـــة : كلية الآداب

الجامعـــــــة : عين شمس

ســـنة التخـــرج : ٢٠٠٠م

ســـنة المـــنح : ٢٠١٢م

شكر وتقدير

أتوجه بخالص الشكر والعرفان والتقدير لأستاذيَّ الجليلين: الأستاذ الدكتور/ ثناء أنس الوجود أستاذ الأدب والنقد بكلية الآداب- جامعة عين شمس، و الأستاذ الدكتور/ إبراهيم محمود عوض أستاذ الأدب والنقد بكلية الآداب- جامعة عين شمس اللذين كانا ولم يزالا يمدان لي دائمًا يد العون والمساعدة على مدى مشوار دراستي العلمية ولم يبخلا عليَّ بجهدهما ومساعدتهما بل وإمدادي بالكثير من المصادر والمراجع، ولم يدخرا وسعًا في توجيهي وإرشادي. فجزاهما الله عز وجل عني خير الجزاء.

إهداء

إلى والدى ووالدتى عرفاناً بفضلهما

إلى أساتذتي الأفاضل

الذين تعلمت منهم. وعرفاناً بفضلهم

وإلى زملائي وأصدقائي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـة

تعد تجربة المنفي في الفن السردي العربي عامة، والروائي خاصة من الموضوعات التي شغلت المجال النقدي في الوقت الراهن، فلا نلبث أن نجد النقاد يتناولون الرواية العربية بالدراسة والنقد، وكثيرًا ما يربط النقاد تلك التجربة بما اصطلح عليه (الرواية السياسية)، فتظهر تلك التجربة تارة في مضامين الروايات التي يتناولونها وأحيانًا تأخذ منحى مختلفًا من خلال التشابك بينها وبين الظروف السياسية المحيطة بالدول العربية وهو ما نجده في كتابات العديد من النقاد العرب.

وليس ذلك فحسب، بل يرى بعض كتَّاب الرواية العرب أنفسهم الذين نجد لديهم تلك التجربة رأيًا في ذلك الموضوع ودور الرواية في التعبير عنه إذ " يرى عبد الرحمن منيف أن الرواية هي المسلك الوحيد للتعبير عن تجربة المنفى ومصادرة حقوق الإنسان وغياب المناخ الديمقراطي والتنديد بالاستبداد والتسلط العربي والسخرية من هزائم العرب المتوالية وخنوعهم المتسلب وتواكلهم الذي طال أمده وأصبح ميسمًا وعارًا يطبعهم أينما حلوا وارتحلوا "[1]

ولقد اتخذ مفهوم المنفى في الرواية العربية أشكالاً متنوعة من حيث التجربة تارة، ومفهوم المنفى في حد ذاته تارة أخرى، و بدأت تسقط بمفاهيم عدة على الروايات المختلفة، وربما لم يكن توظيف النفي والاغتراب لأسباب عدة جديدًا بالنسبة للغرب ولكن توظيفه في الرواية العربية هو الجديد، فسرعان ما تشير الكتابات إلى علاقة الرواية

[1] - انظر ما كتبه جميل حمداوي ، الرواية السياسية و التخييل السياسي ، مجلة ديوان العرب، 11 مارس 2007

بالسياسة، وكان هذا العامل الأبرز لدى العرب لطبيعة الحالة الاستعمارية التي وقع فيها العرب في فترة من الفترات، وهو ما جعل الدارسين يركزون في غالبية دراستهم على علاقة المثقف العربي والسلطة .

واهتمام الكتَّاب العرب بالرواية لاتساعها مفاهيم عدة وإسقاطات سياسية هو ما دفعهم إلى محاولة استيعاب هذا المفهوم والخبرة والاغتراب بعيدًا عن الوطن في إطار روائي يتفق مع أسس الرواية وما تحمله من خيوط سرد ورؤية شاملة للعالم.

وفي الوقت الذي يمر به الوطن العربي بمساحة من الحرية السياسية نجد حرية على مستوى الكتابة والسرد الظاهر منها والمباشر وغير الظاهر من خلال ما تحمله الرواية من مغزى جدير بالدراسة وهو ما جعل الشغل الشاغل لدى النقاد الآن دراسة الرواية في إطارها الجديد الذي يستطيع أن يحتوي التجربة ثم يبرزها في إطار قصص ناجح و تقنيات الرواية والأدوات الفنية والجمالية وإبراز ما فيها من صراع تارة وتغييب تارة أخرى.

ويتناول هذا البحث الرواية العربية في فترتها المعاصرة، وهي فترة شاملة لأحداث عدة شهدها الوطن العربي من استعمار وإفاقة ثم الانغماس في التحدي للسلطة والمنادة بالديمقراطية،وجميعها أحداث داخلية وخارجية كان لها الدور البارز في تحرك الرواية وتحديد وجهتها محاولة الرواية في ذلك تجميل الواقع تارة أودفع واقع مر من خلال الشكل السردي الذي اتخذ الوجهة الواقعية وتبناها في إطار إسقاطي لرموز السياسة والاغتراب خارج الوطن.

ولا تعتمد هذه الدراسة على تناول فترة من الرواية العربية بالدراسة، كما إنها لا تعتمد كذلك على دراسة مجمل أعمال كاتب بعينه، و لكنها تحاول إلقاء الضوء على فكرة شغلت النقاد حديثًا ألا وهي استيعاب الرواية العربية للأحداث السياسية المعاصرة من جانب وعرض لتجارب النفي والسجن والاغتراب من خلال مجموعة من النماذج لا

نقول جميع ما كتب روائي بعينه ولكن النموذج الذي يمثل تلك التجربة، والتي تشمل جميع ما كتب في أدب المنفى حتى وإن لم ينفَ صاحبها.

والإشكالية الأساسية في هذه الدراسة تدور حول سؤال رئيس وهو كيف وظفت الرواية العربية تجربة المنفى من خلال عناصرها وفنيتها المختلفة ؟ وأحاول أن أعرض لمفهوم المنفى عند نماذج مختلفة من الأدباء العرب من خلال أعمالهم رغم ما واجهته من صعاب للحصول على المعلومات الكافية عنهم.

ولقد آثرت اختيار بعض النماذج لكتَّاب يمثلون الرواية المعاصرة من ناحية، وتعرضهم لتجربة المنفى بشكل أو بآخر، وتعرضهم للفكرة من خلال مجمل أعمالهم من ناحية أخرى، وذلك في إطار تقسيم الدراسة إلى مجموعتين من الكتَّاب _إن صح هذا التعبير_ يمثلون واقعًا مغايرًا وأحداثًا مختلفة وظروفًا متباينة ، ففي المجموعة الأولى يركز على بعض الكتَّاب المصريين والتعرض لما طرحوه من تجربة المنفى في الرواية المصرية، والمجموعة الأخرى تمثل بعض الكتَّاب العرب غير المصريين وأعرض من خلالها لأعمالهم التي قاموا فيها بتوظيف تجربتهم من خلال الاستعمار تارة أوالتعسف أوالقهر أوالشعور بالاغتراب والنفي الداخلي تارة أخرى.

لذا أحاول أن أستعرض من خلال هذا البحث فكرة الرواية المعاصرة والسياسة في البداية ثم أحاول اختيار نماذج تعبر عن الرواية المعاصرة من المصريين خاصة والعرب عمومًا، وعن رؤية كل كاتب لتجربة المنفى من خلال أعماله كثرت أوقلت، المهم أن أضع يدي على نقاط الاتفاق والاختلاف في رؤية كل كاتب في تناول الرواية من خلال تجاربه، وكيف ينظر هو إليها من خلال أعماله، وهو ما أحاول جاهدًا التوصل إليه ثم أختم البحث بمحاولة إبراز وجوه الاتفاق والاختلاف بين الكتاب وعرضهم لتجربة المنفى.

ولقد قسمت هذه الدراسة إلى بابين: الباب الأول تحت عنوان: (الرواية العربية المعاصرة والمنفى) ؛ وأحاول من خلال هذا الباب الإشارة إلى ما طرأ على الرواية المعاصرة وخاصة العربية منها من استيعاب للأحداث، وتبنيها الواقع العربي، وقضايا الاستعمار ومواجهة السلطة من خلال الأعمال المختلفة، وأشير إلى علاقة الرواية بالمنفى، وكيف عبرت عن كتَّاب كتبوا في هذا المجال ولكن أهم ما يركز عليه هذا الباب هو مفهوم التجربة ذاتها، أي مفهوم المنفى، ومدرج بفصل تحت عنوان (مفهوم المنفى في الرواية العربية المعاصرة) وتوضيح المنفى اصطلاحًا ودلالة في الرواية العربية المعاصرة ؛ فبعض النقاد يرى هذا المفهوم في الرواية العربية المعاصرة بأوجه عدة.

فمن ناحية نجد نفي الإنسان عن – من نفسه، ويرى البعض نفي الإنسان عن الموطن والديار، وناقد آخر يرى النفي داخل الوطن؛ فالكلمة واحدة ولكن المفهوم مختلف بين ناقد وآخر وكاتب وآخر وربما عند الأديب نفسه، فيمكن أن يعبر عن تجربة المنفى داخل الوطن وخارجه وهو ما نجده في الرواية الفلسطينية والعراقية في الوقت الراهن.

ويمكن أن يختلف مفهوم المنفى اختلافًا كليًّا عن المعروف عند غالبية كتَّاب العراق وفلسطين، وهو ما نجده في الرواية المصرية المعاصرة ، فالظروف المحيطة مختلفة ، وبالتالي نجد الرؤية قد تكون مختلفة أيضًا.

وفضلاً عن هذا الجانب يتعرض الفصل الآخر من هذا الباب (تجربة المنفى والرواية السياسية العربية المعاصرة) إلى علاقة المنفى بالرواية السياسية، وربما يعتقد البعض بعده عن الإشكالية الرئيسة و لكنه ليس كذلك، ألا إنه المصطلح الحديث الذي أطلقه النقاد على بعض الروايات المعاصرة وهو الرواية السياسية، وعلاقته بتجربة

المنفى، وهل تتضمن تلك الأعمال المفهوم الذي يعنيه الكاتب في الرواية من تجربة منفى؟ وبمعنى آخر كيف كانت الرواية السياسية المدخل الرئيس لعرض تجربة المنفى من خلالها تارة أوالإشارة من خلالها لتوظيف الكاتب لتجربته في المنفى، كما إنها تفتح أبوابًا أخرى و تطرح إشكاليات عدة تساهم في إثراء البحث والدراسة.

والباب الثاني من هذه الدرسة تحت عنوان:(الرواية وتجربة المنفى في العالم العربي)، وأحاول من خلال هذا الباب التطبيقي أن أعرض لبعض الرويات بالدراسة والتي ساهمت في إبراز دلالة المنفى من خلال تجارب عدة مصرية وغير مصرية وإبراز ما تحقق بينهم من اتفاق واختلاف من خلال فصول هذا الباب الثلاثة: الفصل الأول(الرواية وتجربة المنفى في مصر) ، وأحاول من خلاله أن أتعرض بالبحث والدراسة للعديد من النماذج المصرية من الكتَّاب الذين كانت لهم تجربة المنفى في مجمل أعمالهم و رؤية الكتَّاب المصريين لتجربة المنفى عامة وتوظيف كل كاتب على حده للتجربة ذاتها من خلال أعماله.

ومن هؤلاء الكتَّاب وفي مقدماتهم بهاء طاهر الذي كانت له رؤية متباينة لتجربة المنفى أحاول اكتشافها من خلال أعماله المتنوعة، إذ يعد ذا مكانة عظيمة بين الأدباء منذ أن قدمه عملاق القصة يوسف إدريس، والذي عاش سنوات طويلة خارج مصر لدرجة أن البعض اتهمه بالتأثر بالرواية الغربية وبالأدب الغربي، ولعل أشهر أعماله في تجربة المنفى روايته "الحب في المنفى" والتي كتبها نتيجة انفعال عنيف جدًا لمأساة صبرا و شاتيلا والتي حدثت وهو خارج مصر والوطن العربي و رواية "نقطة نور" التي تظهر جانبًا آخر للمنفى في أعمال بهاء طاهر وإن كانت السمات الفنية والأسلوبية لكتابة رواية المنفى واحدة، وعلاء الديب الكاتب المصري من خلال ثلاثية المنفى؛ " أطفال بل دموع" و" قمر على المستنقع" و" عيون البنفسج" ، وهي ثلاث روايات منفصلة تربطهم تجربة واحدة من خلال شخصياتها المقسمة على ثلاثة أعمال تحمل كل شخصية رؤية جديدة للمنفى من خلال رؤية العالم عند الكاتب، وإبراهيم عبد المجيد من

خلال روايته " البلدة الأخرى" والتي يعرض من خلالها ما يقاسية المصري خارج أرضه من قسوة وظلم وغياب للعدالة، ويعرض من خلالها لرؤيته الخاصة عن المنفى. ومحمد عبد السلام العمري من خلال روايته" صمت الرمل" التي توضح تجربة المنفى للمصري خارج حدود بلاده من خلال كاتب عايش تجربة مشابهة تركت في نفسه أثرًا وكان لها الدور البارز في نقل رؤية العالم لديه إلى المتلقي.

والفصل الثاني من هذا الباب(الرواية وتجربة المنفى في الوطن العربي)، وأحاول أن أعرض من خلاله أيضًا الرؤية المختلفة لتجربة المنفى عند الكتاب غير المصريين، لا لأن مصر لا تعد منهم، لكن المقصود أن لبعض الدول العربية في الفترة المعاصرة ظروفًا مغايرة وأحداثًا متباينة عن الكتَّاب المصريين، رغم أن القضايا التي يتأثر بها الكتَّاب المصريون والعرب واحدة لكن كون الكاتب عراقيًّا مثلا أو فلسطينيًّا سوف تكون له رؤية مختلفة للمنفى عن المتأثر فقط، لذلك آثرت أن تكون دراستهم في فصل منفصل لعاملين، الأول: أن طبيعة التجربة لدى هؤلاء الكتّاب مختلفة إلى حد ما عن الكتَّاب المصريين.

الثاني: أن رؤى العالم لديهم ستختلف اعتمادًا على مواجهتهم مراكز قوى متعددة وتسلط داخلية وخارجية .

ومن هؤلاء الكتَّاب نجد الكاتب السعودي عبد الرحمن منيف الذي عاش في العراق مدة طويلة ونعرض تجربته التي هي أقرب لتجربة السجن وأدب السجون، وكذلك نجد الكاتب العراقي يوسف الصائغ من خلال روايته " السرداب رقم 2" وهي تجربة تعبر عن عالم المعتقلات والسجون ولكل رؤية فيها، وصبحي فحماوي الكاتب الأردني الذي يعرض للقضية الفلسطينية من خلال رؤيته لها في روايته"حرمتان ومحرم" وأخيرًا مريد البرغوثي الكاتب الفلسطيني الذي يعرض تجربة المنفى والإقصاء الإجباري من خلال

تجربة ذاتية خاصة تشبة السيرة الذاتية في نمط سردي روائي. وأخيرًا أعرض بعض الاتفاقات في السرد الروائي لكتاب المنفى والاختلافات بفصل ثالث (ملامح وسمات مشتركة في تجربة السرد الروائي) ليتضح من خلاله الرؤية للبحث والرسالة.

وهذه المقدمة إشارة خادمة لمضمون هذه الدراسة، وتعريف سريع لقارئ هذا البحث عن محتواه، وأخيرًا أدعو الله أن يوفقني إلى تقديم جديد من خلال هذه الدراسة.

❑ تغيرات المجتمع العربي المعاصر و دور الفن السردي الروائي:

الفن القصصي السردي هو نتاج العصر الحديث، وتجديد لدماء الفن النثري بصفة عامة، وظهور هذا الفن كان إعلاناً عن بزوغ تيار جديد يحمل على عاتقه هموم المجتمع وأحلامه، والاحتواء الكامل للقضايا السياسية والاجتماعية التي كانت تشغله من ناحية، وفض اشتباك الفنون المعبرة في ذلك العصر من ناحية أخرى.

وظهور الفن السردي في شتى أنحاء العالم كان إعلانًا للتعبير عما يمس الإنسان من قضايا اجتماعية ونفسية، وعاطفية متمثلة في أنواع الروايات المختلفة التي ظهرت، والتي مثل كل نوع منها اتجاهًا في حد ذاته، ومنها الرواية الرومانسية والاجتماعية، والواقعية.

ولابد أن نقر أن الرواية هي الأقدم في الظهور من القصة القصيرة أوالأقصوصة، ولكن مع ظهور الرواية وتبنيها الواقع؛ ولنقل توظيف هذا الواقع من خلال الفنيات المختلفة على مستوى العالم كان الشغل الشاغل لجميع الدارسين تقريبًا والمنكبين على دراسة الظواهر السياسية والاجتماعية لدى الشعوب المختلفة، ووجد فيها العرب المتنفس على مدى المراحل التي ظهرت فيها لتلاؤمها أحيانًا مع الواقع المعيشي الذي تعيشه الشعوب العربية من ناحية، و قدرة الرواية – كفن سردي – ومقدرتها على تحويله من مجرد واقع يبحث عن دليل للخروج إلى طرق مفتوحة رمزية كانت أو فانتازية أحيانًا أخرى.

وإنما مجال البحث في هذا الصدد يرتكز على الرواية، لاحتلالها الصدارة في الاهتمام على مستوى العالم وملاءمتها للأحداث العالمية والمصرية والعربية، ولنقل لظروف المجتمع العالمي الذي فضت عليه أمور السياسة العديد من المصطلحات كان من شأنها تغير واقع ملموس وخاصة العرب وقضاياهم التي تعد الشغل الشاغل للعالم أجمع.

والصراع الدائر على مستوى العالم أفرز العديد من المصطلحات كانت بمثابة الجديد الذي قدمته الرواية، ولعل المصطلح ذاته ليس جديدًا ولكن توظيفه في الرواية بصفة عامة والعربية منها بصفة خاصة هو الذي أحدث الثورة الكامنة وأثار العديد من الإشكاليات الشائكة في المجتمعات العربية أجمع، ليس لطبيعة المصطلح (المنفي) ولكن لدلالة المصطلح التي أصبحت متعددة وتحمل من الدلالات ما هو جديد على المصطلح ذاته إلى أن يصل إلى حد التجربة، بل يصل إلى اختلاف الدلالة والرؤية للمصطلح ذاته من كاتب للرواية لآخر، بل تعدى ذلك لتوظيف الدلالة للمصطلح ذاته بشكل مغاير عند الكاتب الواحد، وهو ما نعني في هذه الدراسة إلى محاولة إلقاء الضوء على هذه الكلمة وكيفية التعبير عنها في الرواية العربية المعاصرة التي تحمل بين طياتها العديد من الهموم والشعور بالقهر وقمع السلطة سواء على مستوى خارجي متمثلاً في القوى الاستعمارية أومستوى داخلي يمثل هيمنة السلطة و يعرض جدليات عدة الحاكم والمحكوم والفقر والغنى وغيرها من الجدليات.

ولذا، " فإن كتاب القصة مدعوون إلى أن يكونوا في مستوى همومنا، وما كان جديدًا في الخمسينات من المطالبة بجلاء المستعمر، ودعوة الفكر اليساري إلي ربط الفن بالحياة، والالتفات إلى الطبقات المطحونة، فأصبح في الستينيات أمرًا مقررًا، لقد حرر الإصلاح الزراعي قطاعًا عريضًا من الفلاحين و نقلت القوانين الاشتراكية ملكية المؤسسات الكبيرة إلى الدولة "[1] مما فتح الباب أمام العديد من أفكار التغيير في ظل الشعور بالغربة داخل الوطن الواحد والدعوة إلى قيام ثورة على المفاهيم ومحاولة الخروج من حيز السجن والاغتراب الذي وضعته القوانين الظالمة إلى مستقبل يحمل بين جنباته مفاهيم جديدة للمجتمع تحمل معه الأمل.

---

[1] - الطاهر أحمد مكي، القصة القصيرة، دراسة ومختارات، دار المعارف، القاهرة، ط1، ص102، 1988